بسم الله الرحمن الرحيم

*عن أَنَس بْن مَالِكٍ –رضي الله عنه– قال: جَاءَ ثَلاَثَةُ رَهْطٍ إِلَى بُيُوتِ أَزْوَاجِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم يَسْأَلُونَ عَنْ عِبَادَةِ النَّبِيِّ ﷺ فَلَمَّا أُخْبِرُوا كَأَنَّهُمْ تَقَالُّوهَا فَقَالُوا وَأَيْنَ نَحْنُ مِنَ النَّبِيِّ ﷺ قَدْ غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ وَمَا تَأَخَّرَ...فقَالَ أَحَدُهُمْ: أَمَّا أَنَا فَإِنِّي أُصَلِّي اللَّيْلَ أَبَدًا. وَقَالَ آخَرُ: أَنَا أَصُومُ الدَّهْرَ وَلاَ أُفْطِرُ. وَقَالَ آخَرُ: أَنَا أَعْتَزِلُ النِّسَاءَ فَلاَ أَتَزَوَّجُ أَبَدًا. فَجَاءَ ﷺ فَقَالَ: أَنْتُمُ الَّذِينَ قُلْتُمْ كَذَا وَكَذَا؟ أَمَا وَاللَّهِ إِنِّي لأَخْشَاكُمْ لِلَّهِ وَأَتْقَاكُمْ لَهُ، لَكِنِّي أَصُومُ وَأُفْطِرُ، وَأُصَلِّي وَأَرْقُدُ وَأَتَزَوَّجُ النِّسَاءَ، فَمَنْ رَغِبَ عَنْ سُنَّتِي فَلَيْسَ مِنِّي)).

ثلاثة من الصالحين، امتلأت قلوبُهم حُبًّا لله، ورغبةً في القُربِ منه، ولكنَّهُم أخطأوا الطريقَ، لأنَّهم عَبَدوا اللهَ على جهلٍ، وغابت عنهم بصيرةُ العلمِ، التي تَهدي إلى سواءِ السَّبيل، فظنُّوا أنَّ شدَّةَ التكلُّفِ في العبادةِ، وتركَ المباحاتِ، هو طريقُ القُربِ من الله، فنهاهم ﷺ، وأقامَ الميزانَ العادلَ فقال لهم: ((فمَن رَغِبَ عن سُنَّتي فليسَ منِّي))، أي مَن أعرَضَ عَن نَهجي وطَريقتي فإنَّه بعيدٌ كلَّ البُعدِ عَن مُتابعتي...فإن كان مَيلُه عن سُنَّتِه ﷺ عن كُرهٍ لها أو عَدَمِ اعتقادٍ بها، كان كافرًا خارجًا عن الإسلامِ...وإن كان مَيلُه عنها لتقصير وجهل، فإنَّه مخالِفٌ لطَريقتِه صلَّى اللهُ عليه وسلَّم السَّهلةِ السَّمحةِ التي لا تَشَدُّدَ فيها ولا عَنَتَ.

*وعن جابر بن عبدالله–رضي الله عنه– قال: خَرَجْنا في سَفَرٍ، فأصابَ رَجُلًا مِنَّا حَجَرٌ فشَجَّه في رَأْسِه، ثم احتَلَمَ، فسألَ أصحابَه، فقال: هل تَجِدونَ لي رُخصةً في التَّيمُّمِ؟ فقالوا: ما نَجِدُ لكَ رُخصةً وأنتَ تَقدِرُ على الماءِ. فاغتَسَلَ، فماتَ، فلَمَّا قَدِمْنا على النَّبيِّ ﷺ أُخبِرَ بذلك، فقال: قَتَلوه(قتَلوه بفَتْواهم دونَ عِلم) قَتَلَهمُ اللهُ(دعا عليهم مِن باب الزَّجرِ والتَّهديد لهم)، ألَا سألوا إذْ لم يَعلَموا؛ فإنَّما شِفاءُ العِيِّ السُّؤالُ، إنَّما كان يَكفيه أنْ يَتيَمَّمَ ويَعصِرَ أو يَعصِبَ -شَكَّ موسى- على جُرحِه خِرقةً، ثم يَمسَحَ عليها ويَغسِلَ سائِرَ جَسَدِه))..

وكم نرى اليومَ من يُضيِّقون ما وسَّعَ الله، والذين يُوسِّعون ما حرَّم الله، وكلٌّ قد عبدَ ربَّه على غير علمٍ ولا هُدى، ومن أرادَ أن يَسْلَمَ دينُه فليتعلَّمْ قبلَ أن يَعمَلَ به أو يتكلم...

*عن أبي هُريرةَ أنَّ النبيَّ ﷺ قال: ((مَن أُفتِيَ بفُتْيا غيرِ ثَبَتٍ، فإنَّما إثمُه على مَن أَفْتاه)) والمعنى: مَن استَفتى غَيرَه وطلَبَ منه إيضاحَ أمرٍ مِن أمورِ الدِّينِ، فأجابَه المُفتي بغيرِ عِلمٍ، فإنَّ إثمَ المُستفتِي يقعُ على المُفتِي الذي

أعطاهُ جوابًا عن جهلٍ...ومَحَلُّ كونِ الإثمِ على المُفتي دونَ المستفتي فيما إذا لم يَتبيَّنِ الحُكمُ الشرعيُّ للمستفتي فمتَى ما تبيَّن له وأعْرَض عنه كان مشترِكًا معه في الإثمِ.

وقد ضبَطَ البعضُ الرِّوايةَ ((مَن أَفْتى)) بالبناءِ للمعلومِ، ومعناه: مَن تكلَّمَ في شأنِ الدِّينِ للناسِ عن جَهلٍ، ولا يَعرِفُ عِلمًا فيما تكلَّمَ فيه، كان جزاؤُه أنَّه يأثَمُ ما عَمِلَ المُستفتِي بفَتواه.

*وقال تعالى: {قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ الْفَوَاحِشَ}الكبائر والقبائح {مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ}سرها وعلانيتها...ثم ارتقى درجة إلى ما هو أشد خطراً وأعظم ضرراً{وَالإِثْمَ وَالْبَغْيَ بِغَيْرِ الْحَقِّ} فظلمُ الناس بغيٌ متعد إلى الغير وأثره أعظم من أثر الفواحش...ثم ارتقى درجة إلى ما هو أشد خطرا وأعظم ضررا وأقبح أثرا، وهو الشرك بالله تعالى {وَأَنْ تُشْرِكُوا بِاللهِ مَا لَمْ يُنزِلْ بِهِ سُلْطَانًا}مالم ينزله بكتاب، وليس عندكم فيه حجة...ثم ارتقى الخطاب درجة إلى ما هو أشد خطرا وأقبح أثراً، وهو القول على الله بغير علم{وَأَن تَقُولُواْ عَلَى اللهِ مَا لاَ تَعْلَمُونَ }فالقول على الله تعالى بغير علم أخطر من الشرك!! لأن مفسدة القول على الله تعالى بغير علم أعظم، فإن الفواحش والظلم والشرك ضرره قاصر على صاحبه، أما القول على الله تعالى بغير علم فإن ضرره متعد للآخرين....

جاء رجل إلى ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا فَسَأَلَهُ عَنْ مَسْأَلَةٍ، فَطَأْطَأَ ابْنُ عُمَرَ رَأْسَهُ، وَلَمْ يُجِبْهُ حَتَّى ظَنَّ النَّاسُ أَنَّهُ لَمْ يَسْمَعْ مَسْأَلَتَهُ...قَالَ: فَقَالَ لَهُ: يَرْحَمُكَ اللهُ، أَمَا سَمِعْتَ مَسْأَلَتِي؟ قَالَ: بَلَى، وَلَكِنَّكُمْ كَأَنَّكُمْ تَرَوْنَ أَنَّ اللهَ لَيْسَ بِسَائِلِنَا عَمَّا تَسْأَلُونَنَا عَنْهُ، اتْرُكْنَا يَرْحَمْكَ اللهُ حَتَّى نَتَفَهَّمَ فِي مَسْأَلَتِكَ؛ فَإِنْ كَانَ لَهَا جَوَابٌ عِنْدَنَا، وَإِلَّا أَعْلَمْنَاكَ أَنَّهُ لَا عِلْمَ لَنَا بِهِ.

قَالَ أَبُو الْحُصَيْنِ: إِنَّ أَحَدَكُمْ لَيُفْتِي فِي الْمَسْأَلَةِ لَوْ وَرَدَتْ عَلَى عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ، لَجَمَعَ لَهَا أَهْلَ بَدْرٍ.

فاحرصوا على تعلُّمِ دينِكم، وتفقُّهِ أحكامِ عبادتِكم، ولا تستحيوا من سؤالِ العلماءِ فيما أشكلَ عليكم، فالسؤالُ بابُ العلمِ، والجهلُ بابُ الضلالِ...قال ﷺ: ((من يُرِدِ اللهُ به خيرًا يُفقِّهْه في الدِّينِ)) فمن لم يتفقَّهْ في دينِه، ولم يتعلَّمْ حدودَ ما أمرَ اللهُ به، وما نهى عنه، وقعَ في الجهلِ، وربَّما أفسدَ وهو يحسَبُ أنَّه يُصلح...فنسأل الله أن يرزقنا الخوف من القول على الله تعالى بغير علم وأن نلقى الله بريئين من هذا الإثم العظيم....

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين